

4

كارانيس

مدينة الأطلال الفريدة

بقلم :

بسام الشماع

دار المعارف

تأسست ١٨٩٠



٤

كارانيس
مدينة الأطلال الفريدة

بقلم :

بسام الشماع



رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٢٧٤٥
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7701 - 0

١٣ / ٢٠١٠ / ٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

تصميم الغلاف
شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مقدمة

عبرَ دروب التَّاريخ يوجدُ بواباتٌ شاهقةٌ عظيمةُ القيمةِ يجبُ أن ندقَ عليهَا، ولَوْ سُـمحَ لنَا بالدخولِ سـوفَ نكتشفُ دررًا وكنوزًا ثقافيةً لاَ حصرَ لهَا. وهنَاك عــددٌ من هذهِ البواباتِ منِ الممكنِ نعتُها بالغموضِ لانَّها لمْ يُكتبْ عنهَا الكثيرُ ولمْ يَتم زيارتُها ودراستُها بشكلٍ مستفيضٍ.

وهــذِه هىَ مهمة كاتِبــى التاريخِ. نحاولُ أنْ نلقىَ الضـوءَ علَى دهالِيز تلكَ الفصولِ فــى محاولاتٍ متواضعــةٍ لإضافةِ بعــضِ المعلوماتِ أوْ تســطيرِ بعضِ الفصولِ الَّتى تفيدُ القارئ.

وفــى هذَا الكتــاب نعرضُ لجزءٍ منْ تاريــخِ مصرَ الثرىِّ، جـزءٍ تمازجتْ فيهِ الحضــاراتُ البدائيةُ معَ الفرعونيَّةِ معَ اليونانيَّةِ والرومانيَّةِ فنتجَ عنْ هذَا المزيجَ حالةٌ تاريخيةٌ فريــدةٌ ومنظومةٌ أثريةٌ قلَّما تتكررُ ألا وهىَ «الفيوم». ولوْ عددْنا آثارَ الفيوم لاحتجنَا إلىَ موسوعاتٍ ومجلداتٍ، ولكنْ نذكُر هنَا علَى سبيلِ الذكرِ لاَ الحصرِ:

١ - مدينةُ «ماضى»:

وكانَ يُطلقُ عليهَا اسمُ «دا» فِى مصرَ القديمةِ. وتقعُ علَى بعدِ ٣٥ كم جنوبَ غربِ الفيوم. وبهَا معبدٌ يبدأُ بعددٍ من تماثيل أبى الهوْلِ والأسُـودِ الرابضةِ وبهِ قاعــاتٌ ومَقاصيرُ وأعمــدةٌ ومناظرُ منحوتــةٌ علَى الجدرانِ بها أســماءٌ للملوكِ المسئولينَ عنْ إنشاءِ هَذا المعبدِ وهمَا الملكُ أمنمحاتُ الثالثُ ثمَّ أكملَه الملكُ أمنمحاتُ الرابُع، وكلاهمَا يرجعُ إلىَ الدولةِ الوسطَى (٢٠٥٠ - ١٧٨٦ قبلَ الميلادِ) وقدْ أُطلقَ عليهَا اسمُ «نارماوثيس» فِى العصرِ اليونانىِّ.

٢ - قصرُ قارونَ :

وهـوَ معبدٌ بطلمىٌّ مكرَّسٌ لعبادةِ «سـوبك - رع»، يبعـدُ عنِ الفيوم حوَالى ٥٠ كـم، ويقعُ فِى الطرفِ الجنوبىِّ لبحيرةِ قـارونَ وكانَ يُطلقُ علَى هذَا المكانِ «ديونينسوس» فى العصرِ اليونانىِّ البطلمىِّ.

٣ ـ قصرُ الصاغةِ :

وهـوَ معبدٌ من الحجرِ الجيرىِّ والرملىِّ، ويقعُ علَى بعدِ حوَالى ٨ كم شـمالَ بحيرةِ قارونَ، وهوَ يرجعُ إلَى عصرِ الدولةِ الوسطَى.

٤ ـ قصرُ البناتِ :

هوَ معبدٌ مكرَّسٌ لعبادةِ الرَّبِّ الأسطورىِّ «سوبك» الرَّبِّ التمساحِ والرَّبَّةِ الأم والزوجـةِ «إيزيس». ولمْ ينتهِ الاهتمامُ بهذَا المعبدِ الصغيرِ فِى عصرِ اليونانِ إذْ أوْلوْه اهتمامًا خاصًا أيضًا. وقد تمَّ الكشـفُ عنْ عـددٍ كبيرٍ من البردياتِ والتِى ترجعُ إلى القرنَين الأولِ والثَّانِى الميلاديِّيْن.

٥ ـ مسلةُ أبجيجَ :

هذِهِ المسـلةُ مشيدةٌ فِى وسْـطِ ميدانٍ بمدينةِ الفيومِ الجميلةِ. وهىَ ترجعُ إلَى عصرِ الدولةِ الوسـطَى - وقدْ أمرَ بنحتِها وتشْييدِها المَلكُ سنوسرتُ الأولُ. ويبلـغُ ارتفاعُها ١٣ متـرًا، أمَّا عنْ وزنِها فيصلُ إلَى رقـمٍ مذهلٍ، تخيل عزيزِى القارِئ أنَّ مسلةَ أبجيجَ تزنُ ١٠٠ طنٍ!

٦ ـ أهراماتٌ :

تبلغُ مسـاحةُ الفيـوم كمحافظةٍ عظيمةٍ حوَالى ٥٤٩ كـم٢. وقدْ كانتْ مكانًا متميـزًا لعددٍ كبيرٍ من الأهراماتِ مثلِ هرمِ «اللاهون» للملكِ سنوسـرت الثَّانى (١٨٩٧ - ١٨٧٨ قبلَ الميلادِ). وهرمِ «هوَارةَ» المبنىِّ من الطُّوبِ اللبِنِ المكسـوِّ

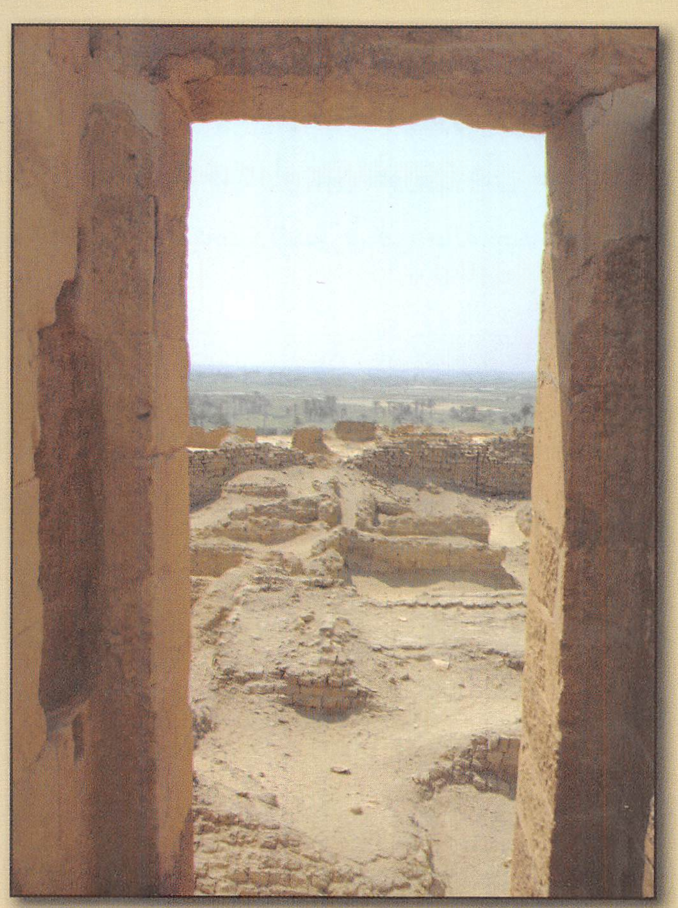
بالحجرِ الجيرىِّ وبجانبه «معبدُ التيه» أوْ «اللابيرينث» وقدْ سُمِىَ هكَذا لأنَّه كانَ مكوَّنًا من طابقينِ وبه العديدُ من الغرف يصلُ إلَى ١٥٠٠ غرفة ولذلكَ كانَ من الصعبِ على أىِّ زائرٍ ألاَّ يضلَّ طريقَه داخلَه، كمَا ذكرَ المؤرخُ الشَّهيرُ «سترابون». وصاحبُ هـذَا الهرمِ هوَ الملكُ أمنمحات الثالـثُ (١٨٤٢ - ١٧٩٧ قبلَ الميلاد) واسـمُه يَعْنى «آمونُ فِى المقدمـة». وقد نجَا من الدمارِ حجرٌ هرمىٌّ الشـكلِ علَـى قدرٍ كبيرٍ من الأهميـة، وهوَ أعلَى حجرٍ فى الهـرم وكانَ المصرىُّ القديمُ يطلقُ عليهِ «بن بن»، وهوَ حجرٌ هامٌّ لدى الكهنةِ القدماءِ لدرجةِ التقديس. وقدْ تمَّ نحتُ عـددٍ من النصوصِ ومناظرَ الجمالِ والرؤيـةِ الخاصةِ بالعينِ المصرية القديمةِ المشهورةِ (عين وادجيت أو عين حورس) علَى حجرِ البن بن. وهوَ الآنَ يقبعُ فى الدورِ الأرضىِّ بالمُتحفِ المصرىِّ فى حالةٍ جيدةٍ جدًّا.

كيمَان فَارس :

أمَّا عـن أهم الأماكنِ فهـىَ منطقةُ «كيمان فـارس» والتـى أُطلقَ عليهَا «شـيديت» ثمَّ «كروكوديبولـس» (ومن المُلاحَظِ هنَـا أنَّ كروكودى بمعنَى التمسـاحِ كمَا فى اللغةِ الإنجليزيَّةِ الآن) «وبُوليس» بمعنَى مدينة،إذنْ كانتْ كيمَان فارس هىَ المدينةَ المكرسةَ لعبادةِ الربِّ التمساحِ «سوبك» الأسطورىِّ. وهـىَ مِن المدنِ القديمةِ جدًّا ولكنْ وصلتْ إلَى أوجِ ذروتِها فى زمنِ الدولةِ الوسـطَى وبالأخصِّ فى وقتِ الملكِ «أمنمحات الثالث» والعصرين اليونانىِّ والرُومانىِّ.

وهنـاكَ أماكـنُ كثيرةٌ لهَا علاقةٌ بالفيـوم علَى نفسِ قدرِ الأهميَّةِ مثلِ سـيلا وبيهمو وغرابِ وأمِّ البريجاتِ (كانتْ تُسـمىَ تبتينوس فِى عصرِ البطالمةِ) وكوم الأثلِ (يونانى = باخيس) ومدينةِ القوتة (يونَانى = سـكنوبايوس) وضرب جزرةَ (يونانـى = فيلادلفيا) وكـوم مدينةِ النحاسِ (يونانىّ = ماجـدولا). وهناكَ أيضًا

«السَّـبعُ سواقِى» المشـهورةُ التى يجبُ زيارتُها عندَ زيارةِ الفيوم، ومن المؤكَدِ تاريخيًّـا أنَّه رغمَ أنَّ المصرىَّ القديمَ هوَ الـذى اخترعَ أولَ أداةِ رَىٍّ فِى التاريخِ «الشَّـادوف» (راجعْ كتـابَ المؤلفِ عنِ الابتكاراتِ الفرعونيَّـةِ) إلاَّ أن البطالمةَ اليونَان هُمُ الذينَ قدَّموا فكرةَ السـاقيةِ إلَى المصريينَ إبَّانَ القرنِ الثالثِ قبلَ الميـلادِ. وقـدْ تمَّ إحصاءُ ٢٠٠٠ سـاقيةٍ فى الإقليمِ وهىَ عندَ بحرِ «سـينورس» بالفيومِ.



منظر عام لمدينة كارانيس القديمة من خلال بوابة فى المعبد تظهر زراعة الفيوم

الزراعةُ فى الفيومِ البطلميَّة :

اهتمَّ اليونانُ المتحكمونَ فى مقَاليد الحكم بعدَ وفاة الإسكندرِ الثالث وحتَّى انتهَاء حكم كليوباترا السابقة بالزراعةِ والإنتاجَ الزراعىِّ والحيوانىِّ. وكانتْ الفيومُ مركزًا زراعيًا هامًا، أقيمتْ فيه المشاريعُ الكبيرةُ فتمَّ شَقُّ الترعِ والمصَارف المائيةِ لكَى تساعدَ علَى رىِّ الأراضِى. وتحكَّمَ الحكمُ البطلمىُّ فى هذه المنظومةِ الزراعيةِ بحيثُ يستفيدُ من استثمارِ هذه الأراضِى فتصبُ فى خِزانته أموالَ الضرائِب وتَملأُ مخازنَ غلاله بالمحصولِ والحصادِ الكبيرِ.

كيفَ وصلَ البطالمةُ إلى الحكم ؟

عندَمـا كانَ الإسـكندرُ الثالثُ المقدونىُّ علىَ فـراشِ الموتِ وهوَ لمْ يكملْ الثلاثةَ والثلاثينَ عامًا من عمره، سُـئلَ عَنْ وريثه فى حكمِ إمبراطوريته (كانتْ حدودُ إمبراطوريةِ الإسـكندرِ المقدونىِّ الشاسـعةِ تصلُ مَـن البرتغالِ غربًا إلى أواخرَ الهندِ شرقًا) كانَ ردُّه: «للأقوَى!».

ويـرى بعضُ المؤرخينَ أنَّ هذَا الردَ - لوْ كانـتْ هذه القصةُ مؤكدةً وحدثتْ بالفعلِ - هوَ الذى فتحَ بابَ الصراعاتِ بينَ قادة جيشه والفرسانِ والمشاةِ وغيرِهم من أصْدقائه. وقدْ زادتْ القضيةُ تعقيدًا لأنَّ الإسـكندرَ تُوفىَ وليسَ لَه ابنٌ يرثُ الإمبراطوريَّةَ وذلكَ لأنَّ زوجتَه «روكسانا» أنجبتْ طفلَها بعدَ موته وأطلقتْ عليه «الإسـكندرَ الرابعَ». وقدْ شاركَ الإسـكندرَ الرابعَ الطفلَ أخوه الإسكندرُ الثالثُ المسـمَّى «فيليب أرهيديس» غيرُ الشـقيقِ. وقد اسـتطاعَ بطليموسُ الأولُ أنْ يُحْكِمَ قبضتَه علَى مصرَ وقامَ بتوسيعِ رقعةِ الإمبراطوريَّةِ المصريَّةِ صوبَ الشرقِ والغربِ، وفى البحرِ المتوسـطِ. وقدْ كانَ عسكريًا فذًا وأطلقَ عليه الروديسيونَ (سـكانُ جزيرةِ «رودس» بالبحرِ المتوسـطِ) لقبَ المنقذِ «سوتر» لأنَّه أنقذَهم من حصارِ أعدائِهم.

كانتْ هـذه هىَ بدايةَ البطالمـةِ فى مصرَ عندمَا اسـتطاعَ بطليموسُ الأولُ جلـبَ جثمانِ الإسـكندرِ الثالثِ المقدونىِّ من بابلِ، حيـثُ تُوفى وفاةً مازالتْ غامضةً حتَّى الآنَ إلى منفَ (ميت رهينة، البدرَشين الآنَ) ثمَّ إلىَ الإسكندريةِ فأصبحتْ أهمَّ مدينة فى الإمبراطوريَّةِ المقدونيَّة. واسـتمرَ حكمُ البطالمة حتَّى وفَاة الملكةِ البطلميَّةِ الشهيرةِ كليوباترا السابعةِ عام ٣٠ قبلَ الميلادِ، ليبدأَ عصرُ الدولةِ الرومانيَّة فِى مصرَ.

مدخلُ كومِ أوشيمِ (كارنيس) :

بعدَ العبورِ من البوابةِ الرئيسـيَّةِ تجدُ نفسَـكَ متوجهًا إلـىَ المدينةِ القديمةِ عـن طريقِ دربٍ محدد محفوف من الجانبيْنِ ببقَايا أعمدةٍ حجريَّةٍ قديمةٍ. علَى يسارِكَ سوفَ تجدُ منزلاً قديمًا وهوَ للسفيرِ الإنجليزىِّ «ميلز لامبسون».



المدخل الرئيسى الحالى لبرابى (آثار واطلال) كارانيس

وقدْ كانتْ كارانيس من أماكنه المفضلةِ ولذلكَ شـيَّد لَنفسه منزلاً هناك. ثمَّ تجدُ نفسَك أمامَ مجموعةٍ منِ الآثارِ المتباينةِ والتى جمعَها المنقبونَ هنا، وهىَ عبارةٌ عن عددٍ من الأحواضِ المزينةِ بوجهِ الفهدِ وقرصِ الشَّـمسِ المجنحِ الرامزِ للحمايةِ والقوةِ.

ونجـدُ أيضًا نحْتًا لوجهِ شـخصٍ علَى غطاءِ تابوتٍ حجـرىٍّ ولكنَّه غيرُ واضح المعالم ولاَ يوجدُ اسمٌ لَه ولذلكَ فَمنِ الصَّعبِ أن نقولَ لمنَ يكونُ هذَا التابوتُ. بجانبـهَ، نجدُ عـددًا من الأوانِى الحجريةِ التى رُبما كانتْ تسـتخدمُ فى تخزينِ الغـلالِ أو المأكـولات، وعلَى بُعدِ خُطوات نجدُ عددًا مـن بقَايا الأَعمدةِ وتمثـالاً عليـهِ الكتاباتُ الهيروغليفيَّةُ مَنها نحتٌ لرمـزِ التمسـاحِ المبجلِ هنّا فى «كارانيس». هذَا هوَ الدربُ الملىءُ بالآثارِ على الجانبيْنِ الذى سوف يرشدُك إلى داخلِ مدينة كارانيس القديمة وننصحُ باتباعه. وقدْ كانتْ بهذهِ المدينـة نقطـة تفتيشِ حدوديةٍ أيضًا ممَا يضيفُ لأهميتـهـا التاريخيـة والعسكريةِ.

تمثال أو غطاء تابوت لشخص غير واضح المعالم - مدخل كارانيس

الفيومُ .. أرقامٌ وحقائقُ:

١ - الأسطورةُ تقولُ إنَّها قدْ بُنيتْ فى ألفِ يوم ولذلكَ أُطلقَ عليهَا «الفيومُ»، ولكن هذه القصةَ ليسَ لهَا مَا يؤكدُ صحتَها من الناحيةِ التاريخيةِ والنظريةِ، الأوقعُ والأكثرُ قوةً هوَ أنَّ كلمةَ «فيوم» تأتِى فى الأصلِ من كلمتينِ هيروغليفيتينِ وهمَا: «با» و «يم» ومعناهُما «البحرُ الكبيرُ» أو «الجسدُ المائىُّ العظيمُ»، والقصدُ هنَا بالطبعِ هوَ بحيرةُ قارونَ. وقدْ تحولتْ «بايم» إلى «فيُّوم»، ثُمَّ تَمَّ إضافةُ أداةِ التعريفِ فى اللغةِ «ال» لتصبحَ «الفيُّوم».

٢ - يؤكدُ بعضُ المتخصصينَ أننَا لا نستطيعُ أن نطلقَ علَى الفيوم صفةَ واحةٍ لأنَّها تعتمدُ علَى مياهِ النيلِ عن طريقِ بحرِ يوسفَ، وفى نفسِ الوقتِ لا نستطيعُ أنْ نصفَها بأنَّها من وادى النيلِ أو الدلتَا لأنهَا بعيدةٌ عنهمَا. ولذلكَ تنفردُ الفيومُ بشخصيتِها الجغرافيةِ المتفردةِ.



منظر منحوت للتمساح المقدس فى كارانيس

٣ - تقعُ الفيومُ ٦ درجاتٍ شمالَ مدارِ السرطانِ.

٤ - ترتفعُ الفيومُ ٢٢ مترًا فوقَ مستوَى سطحِ البحرِ.

٥ - تزرعُ الفيومُ آلافَ الأفدنةِ من الليمونِ والمَانجو والخوخِ والتينِ والزيتون والقطنِ والنعناعِ والسمسمِ والبرسيمِ والطماطمِ وعبَّادِ الشمسِ والنخيلِ.

٦ - تتميزُ الحياةُ البريةُ بهَا بالتباينِ والتعدديةِ، فنجدُ هنَا الثعالبَ والذئابَ وطائرَ أبى قرْدانَ وطائرَ الكوكولِ السنغالى والطاووسَ الصحراوىَّ.

تَمصُّرُ الحكام البطالمة :

لفظُ «تمصَّرَ» يعنِى أصبحَ مِصْريًا، وقد اتبعَ هؤلاءُ الحكامُ الإغريقيو والمقدونييو الأصلِ الأسلوبَ الفرعونىَّ فى الحكمِ، فاتخذُوا ألقابًا مصريةً قديمةً تمَّ نقشُها علَى المعَابدِ التى شيدوهَا تكريسًا لعبادةِ الأربابِ المصريّةِ والتِى نجحُوا فى كثيرٍ منَ الأحيانِ فى خلْطها مع أربَابهم اليونانيَّة. ثم وضعوا أسماءهم الملكيةَ فى خراطيش ملكيةٍ بيضاويّةِ الشكلِ تمامًا مثل فراعنةِ الأسراتِ. وارتَدوا التيجانَ الملكيَّةَ المصريَّة مثل تاجىْ الوجهِ البحرىِّ والقبلىِّ الأحمرَ والأبيضَ، وارتَدوا تاجَ الخبرشِ الأزرقَ الفرعونىِّ فى وقتِ المعَارك والنزالِ. واستمرتْ عملياتُ التحنيطِ، ونتجَ عنْ هذَا الأسلوبِ فنٌّ وحضارةٌ جديدةٌ يطلقُ عليهَا الهيلينيَّةُ أو الهيلينسيَّةُ أفرزتْ عبقريَّةً معماريَّةً مثل معابدِ إسنَا وكوم أمبو وأدفو ودندرةِ وفيلةِ. بلْ واستمر التزاوجُ الفنىُّ والمعمارىُّ مع الرومانِ منْ بعدِ اليونَان، فأضَافوا أسماءهم وأعمالَهم علَى هذِه المعابدِ وغيرِها منَ المعابدِ التِى كانتْ موجودةً قبلَ مجيئهم مِثل الكرنكِ والأقصُرِ. وعاشَ اليونانُ فى مصرَ فى مدنٍ عديدةٍ منهمَا مدينةُ كارانيس أو كُوم أوشيم (اسمُها فيمَا بعدُ) وهىَ بطلةَ قصةِ هذَا الكتابِ.

والآنَ عزيـزىَ القارئ، وبعدَ هذهِ المقدمةِ الطويلةِ التى كانتْ مهمةً لمعرفةِ جـذورِ وأصلِ الأشـيَاء فقدْ تمهدَ الـدربُ لكَ لكى ندخلَ معًا إلـىَ هَذا الفصلِ التاريخىِّ الهامِ. هيَّا بنَا إلى كومِ أوشِيم (كارانيس).

كـوم أوشيم :

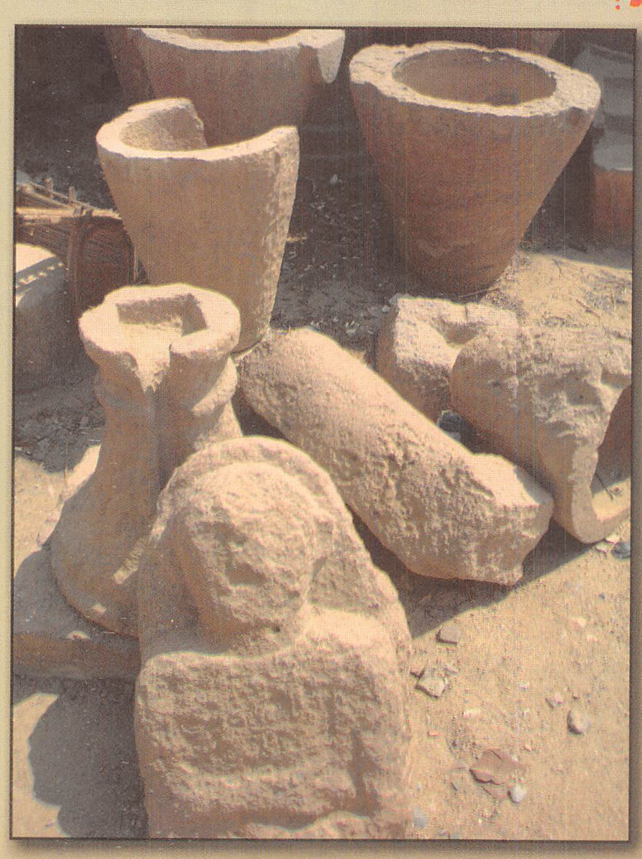
تعتبرُ كومُ أوشِـيم من أكثَرِ المدنِ القديمةِ أهميَّـةً من وجهةِ النَّظر الأثريَّةِ وذلـكَ لأنها مَـا زالتْ تحتفظُ بشـخصيتِها وخريطتِهـا الطبوغرافيـةِ ومعالمهَا المعماريةِ رغمَ تَحوُّلِ العديدِ من بيوتِها ومعابدِها ومقابرهَا إلَى أشباهِ أطلالٍ. ولكنْ سـوفَ تشـعرُ عزيزىَ القارئ أنَّ هذه الأطلالَ والمبانـىَ التى رُبَّما قدْ تكونُ عواملُ الرِّياحِ والتَّعريةِ قد محتْ التفاصيلَ الدقيقةَ لها إلاَّ أنَّها تُطلُّ عليكَ حاملةً فى نظراتِها عبقَ الزمنِ وعينَ التاريخِ القديمِ.



المؤلف يتفقد أحد الأعمدة المليئة بالرموز الهيروغليفية - مدخل كارانيس

وهوَ شــعورٌ ينتابُنى أنا شــخصيًّا كلمَــا زرتُ تلكَ المدينةَ التــى تحتلُ مكانةً هامَّةً فِى قلبِى وذاكرتِى وذلكَ لأنَّها تحملُ صفةَ الإنســانيَّةِ. تشعرُ وأنتَ تترجلُ بينَ شــوَارعها ودروبِها أنكَ ترجعُ بالوقتِ وتعيشُ بينَ سكانِها وذلكَ لوجودِ بقايا بيوتِهــم وحماماتِهم وشُــوَنِهم ومخازنِ غلالِهم وأفرانِهم وشُــقافاتِ قاروراتِهم. شــعورٌ لا يتأتــىَ لكَ فى أمَاكــن أثريَّةٍ أخــرَى عديدةٍ التى تتميــزُ وتتفردُ فقط بالمعابدِ والمقابرِ ولكنَ ليس البيوتُ ومعمارُ الحياةِ اليوميَّةِ.

كومُ أوشِيم ليستْ فرعونيَّةً :



مجموعة أوان وقارورات وغطاء تابوت – مدخل كارانيس

منَ الممكنِ أنْ يُفاجئَ هذَا العنــوانُ العديدَ من قرائنــا الأعــزَّاء، ولكنّهــا حقيقةٌ تاريخيةٌ متعارفٌ عليهَا، كومُ أوشــيم هىَ مدينــةُ يُونانيةٌ ورومانيةٌ ولقدْ تــمَّ تأسيسُــها فى القرنِ الثالثِ قبلَ الميلادِ وظلتْ مأهولةً بالســكانِ حتَّــى القرنَ الخامــسِ الميــلادىِّ وقــدْ كانــتْ تُسمَى «كارانيس»، وهوَ الاسمُ الذى أكدَ يونانيتَها، إذَا جازَ التعبيرُ.

ومـعَ هذَا فقدْ تميزتْ معابدُها ومقابرُها بلْ وبيوتُها بالكثيرِ من السـماتِ المصريَّـةِ ممَا يـدلُّ علَى تأثـرِ اليونَان والرومَـان بالحضـارةِ المصريَّةِ علَى أرضِ مصرَ.

كومُ أوشِيم (كارانيس) : تاريخٌ وآثارٌ :

علَـى بُعْدِ حوالـى ٣٠ كم عن مدينةِ الفيـوم الأثريَّةِ تقـعُ «كارانيس» علَى هضبةٍ صحراويةٍ (هىَ الآنَ علَى الطريقِ المُسْـفلَتِ المُسـمَّى القَاهرة - الفيُّوم مباشَـرةً) ولذَا يسـهلُ زيارتُها الآنَ حيثُ من الممكنِ أن تصـلَ إليها بعد ٦٠ كم من القاهرةِ). ولأنهَا مشـيدةٌ علَى هضبةٍ عاليةٍ فمـنَ الممكنِ رؤيةُ الفيوم من أىْ مـكانٍ فيهَا، وهوَ منظرٌ خلابٌ يجتمـعُ فيهِ تناقضُ الألوانِ الخضرَاء (الأرَاضى المزْروعَة) والأصفرَ (الصّحراء النّاعمة).

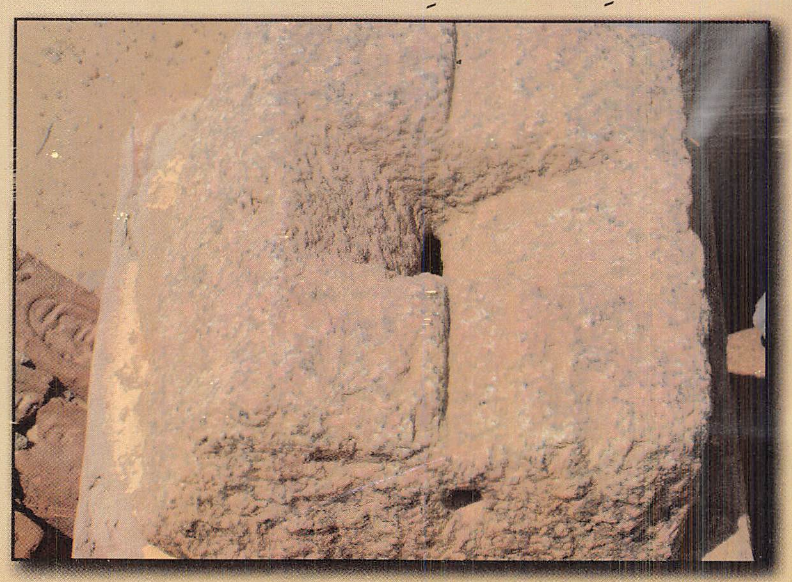
وقدْ تمَّ الكشـفُ عـنِ العديدِ من الآثارِ فى كارانيس وفيهَـا : آلافُ البردياتِ القديمةِ التى تحوِى رسـائلَ شـخصيةً ووثائقَ مهمةً، وعمـلاتٍ برونزيةً وفضيَّةً وذهبيَّـةً ترجعُ إلىَ عصـرِ «هيراكليس» الحاكم الرومانىِّ، وقـدْ أثبتتْ البعثاتُ الأثريةُ التى نقَّبتْ فِى كارانيس أنَّه كانَ هناكَ تجَارةٌ واسـعةٌ للعديدِ من السـلعِ والحاجاتِ ؛ فمثلاً الغالبيةُ العظمىَ منَ الزجاجاتِ التِى تمَّ الكشـفُ عنْها كانتْ تأتِى من الإسـكندرية. ومنَ الاكتشافاتِ المثيرةِ هنَا فى كوم أوشيم (كارانيس) لعبُ الأطفالِ الخشبيَّةُ والنردُ والموائدُ والمكاتبُ التى كانتْ تَستخدمُ فى الكتابةِ والدواليبُ والسلالُ المصنوعةُ من سعفِ النخيلِ أو البوصِ، وأوانِى الطَّهى. وقدْ تـمَّ أيضًا إيجـادُ أدواتٍ وآلاتٍ مصنوعةٍ من معدنىْ البرونـزِ والحديد، ممَا يدلُ علَى تطورِ الحياةِ وازدهارِها فِى كارَانيس.

أمَّا عن أدواتِ التجميلِ فقدْ وجدَ المكتشِـفونَ العديدَ من المراياتِ وأدواتِ التمشيطِ والاعتناءِ بشكلِ الشَّعرِ.

كلُّ هــذه الأشـيَاء أعطتْنا صورةً واضحةً جـدًّا عنِ الحياةِ فى تلـكَ المدينةِ الجميلـةِ والتِى عـاشَ فيهَا مَا يقربُ من ٤ آلافِ شـخص، ممَا يدلُّ علَى حجمِها الكبيرِ ومسـاحتِها الشاسعةِ وأهميتِها السياسـيَّةِ والدينيَّةِ والاجتماعيَّةِ فى زمنِ حكمِ البطالمةِ اليونانِ والأباطرةِ الرومانِ من بعدِهم لمصرَ.

مَاذا كانَ يأكلُ أهلُ كارانيس ؟

فِى الجانبِ الشَّـمالِى للتلِّ الذى بُنيتْ عليهِ المدينةُ السّـاحرةُ تمَّ الكشـفُ عن شُـوَنٍ (جمعُ شونة) ومخَازن غلالٍ ومسـتودعاتٍ لحفظِ البذورِ. وفِى داخلِ أحد هذه المخازنِ تمَّ الكشفُ عن عددٍ كبيرٍ من أرغفةِ الخبزِ المستديرةِ (تشبهُ إلَـى حدٍ كبيرٍ أرغفةَ العيش البلدىِّ والبتَّـاو)، وقدْ كانتْ هذه الأرغفةُ موضوعةً فوقَ بعضِها البعضِ. وأثبتتْ الاكتشافاتُ فِى كارانيس الرومانيةِ أنَّ سكانهَا كَانوا يأكلونَ ويستخدمونَ القمحَ والشـعيرَ والبلحَ والتينَ والعدسَ والزيتونَ والفجلَ والفستقَ وعينَ الجملِ وزهورَ اللوتسِ.



معصرة زيت زيتون – من الجرانيت

ومنَ الواضح أنَّ عصرَ الزيتونِ وعملَ زيتِ الزيتونِ كانَ منتشـرًا جدًّا فى كارانيـس وذلكَ لوجودِ أكثَر مـن معصرةِ زيتونٍ تمَّ العثورُ عليهَا فى حالةٍ ممتازةٍ مـنَ الحفظِ، بعضُها منحـوتٌ من الحجرِ الجرانيتـىِّ الوردىِّ والآخرُ مـنَ الحجرِ الجيرىِّ. يتوسـطُ المعصرةَ ثقبٌ فى حجـمِ الزيتونةِ حيثُ يتمُّ وضعُها وعصرُها، فيسـيلُ الزيتُ السائلُ داخلَ شقٍ رفيعٍ ليتجمعَ فى حوضٍ تحتَ المعصرةِ ليتمَ تصفيتُه وتنقيتُه إيذانًا باستخدامِه فِى الطَّهىِ والوجباتِ الشهيَّة الصحيَّة.

وقدْ كانـتْ تجارةُ الزيتونِ وزيتِـه تجارةً رائجةً فى هـذَا العصرِ. وعلَى مشـارفِ مدخلِ المدينةِ القديمةِ تجدُ أكثرَ من رحايةٍ حجريَّةٍ لطحنِ الغلالِ وتحويـلِ القمحِ والشـعيرِ إلَى دقيـقٍ لخبزِ العيشِ والأنـواعِ المختلفةِ من الفطَائر.



معصرة زيت زيتون من الجرانيت الوردى

آثارُ الحياةِ اليوميَّة :

بيوتُ ومنازلُ سكانِ كارانيس كانتْ مشيدةً من الطينِ المخلوطِ بالقشِّ (وذلـكَ لتقويةِ الطوبـةِ الطينيَّةِ) وبهَا عددٌ منَ الغرفِ والسَّـلالم. وقدْ تمَّ الكشفُ عن أطلالِ أفرانِ الفخَّارِ وصوامعِ الغلالِ (وهىَ مملوءةٌ الآنَ بترابِ الصَّحراء)، وتمَّ رصدُ مكانِ المكَاتبِ الإداريةِ القديمةِ والحماماتِ الشـعبيةِ ذاتَ الأحواضِ للسـيداتِ والرجالِ علَى حدٍّ سـوَاء. وتتميزُ هذه الحماماتُ أنَّ منهَـا مَايزالُ يحتفظُ بطبقةِ جصٍّ ملونة أصليةِ مزخرفة بأشـكالٍ نباتيةٍ جميلـةٍ ذاتِ ألـوانٍ خضراءُ وحمراءُ وكانَ بالمدينةِ سـوقٌ يبتاعُ فيهِ الناسُ احتياجاتِهم.



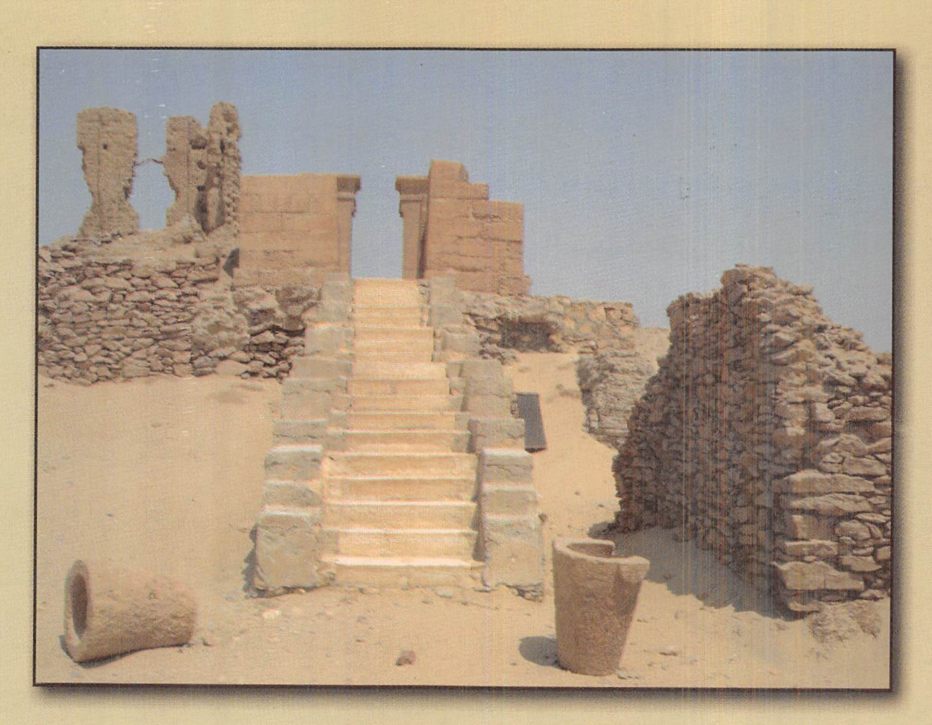
قبة نصف مستديرة فوق حوض الحمام



زخارف نباتية ملونة - داخل نصف قبة الحمام

معابدُ كارانيس :

كانَ مـنَ الطبيعـيِّ أن نجدَ معابدَ مكرّسـةً لأربـاب مصريَّةٍ رغمَ أننـا فى مدينةٍ يونانيَّةٍ ورومانيَّةٍ وذلـكَ لتأثرِ هؤلاءِ الأجانبَ بالديانةِ والعقيـدةِ المصريةِ العتيقـةِ. وفى فترةِ الحكـم الرومانىِّ لمصرَ تمَّ تشـييدُ معبدينِ فِى كارانيـس : المعبدِ الشّـمالىِّ والمعبد الجنوبىِّ، والمعبـدَانِ مبنيانِ علَى هضبتيْنِ مختلفتيْـنِ عاليتيْنِ يمكنُ الوصولُ إليهمُا عن طريقِ دَرَجٍ.



مدخل المعبد الشمالى

١ ـ المعبدُ الشمالىُ :

مبنىٌّ منَ الحجرِ ومشـيدٌ علَى هضبةٍ عاليةٍ لكى يتسـنَّى للجميعِ أنْ يراهُ، ويَسْـهلُ الوصولُ إليـهِ. ويحتوى علَى ثلاثـةِ أصرحٍ وثلاثة أفنيـة. وفى نهايةِ المعبـدِ بالتحديد فى الفناءِ الثالثِ والأخيرِ يوجدُ مذبحٌ عقائدىٌّ وأماكنُ لدفنِ المومياواتِ المحنَّطةِ للربِّ الأسـطورىِّ «سـوبك» الربِّ التمساحِ النيلىِّ. وقد كُـرِّسَ المعبدُ لعبـادةِ أربابٍ أخرَى مع «سـوبك» مثل «آمون» « سـرابيس» و «زيوس».

ودعُونى يَا أصدَقائى أعُرفكم علَى هذهِ الشَّخصياتِ الأسطوريةِ الثَّلاث :

(أ) آمـــون :

قالَ الكهنةُ المصريونَ إنَّ آمونَ هوَ ربُّ الشـمسِ، واهبُ الحياةِ. وقد لُقِبَ

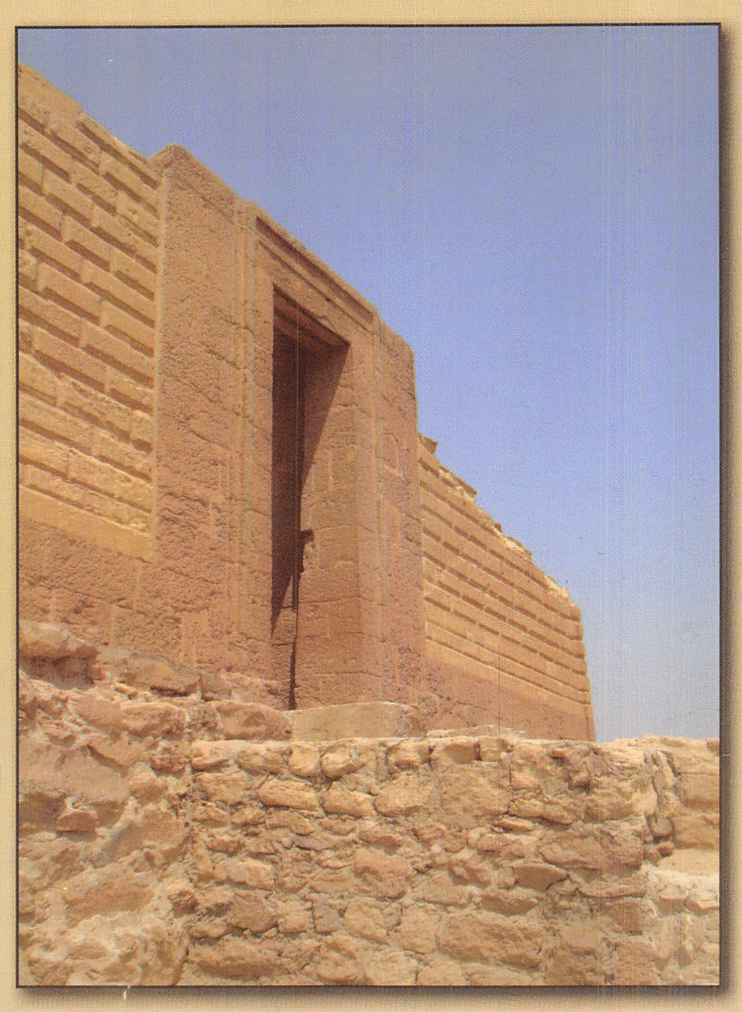
بألقابٍ عديدةٍ مثل: «الخفىِّ» و «محركِ الرِّياح» و «الأبِ الطَّيبِ» و «القائدِ الذى يَعرفُ الماءَ». ويظهرُ علَى جدرانِ معبدِ الكرنكِ علَى شكَلِ حيوانِ الكبشِ. وفى الشكلِ البشرىِّ يظهرُ آمونُ علَى هيئةِ رجلٍ ذِى ريشتيِّنِ عاليتيْنِ فوقَ رأسِه. وهوَ مِن أشْهرِ المعبوداتِ فى مصرَ القديمةِ علَى المستوىَ الملكىِّ والشعبىِّ.

(ب) سرابيس :

عندمَا جاءَ الإغريقُ إلَى مصرَ بعدَ وفاةِ «الإسكندرِ الأكبَر» وأرَادوا أنْ يتعبَّدوا لربٍّ يكونُ جَامعًا للديانتيْنِ : المصريَّةِ والإغريقيَّةِ، وجدوا بعدَ دراساتٍ مستفيضةٍ أنَّ المصرِّيينَ يتعبدونَ لربٍّ أسطورىٍّ اسمُه «أوزير» (أوزوريس) علَى هيئةِ عجلٍ قوىٍّ. فأضَافوا اسمَ «أبيس» (الربِّ الأسطورىِّ اليونانىِّ، وكانَ على شكلِ عجلٍ أيضًا) علَى «أوزير»، فأصبحَ اسمُ الربِّ «أوزيرابيس» وللتسهيلِ أصبحَ اسمُه «سرابيس». وهوَ ربُّ القوى والحمايةِ والقمحِ والعَالَمِ الثَّانى الأبدىِّ. وقَد عُبِدَ لمدةٍ طويلةٍ فى معابدِ بالإسكندريةِ وميتِ رهينةِ (ممفيس) وقدْ تمَّ تحنيطُ العجلِ المقدسِ ووضعُه فِى توابيتَ ضخمةٍ علَى مدارِ التاريخِ المصرىِّ القديمِ، وتمَّ دفنُ تلكَ التوابيتَ فى غرفٍ واسعةٍ تحتَ الأرضِ فِيما يُسمى بالسَّرابيومِ الكائنِ بمنطقةِ سقارةٍ بالجيزةِ.

(جـ) زيوس :

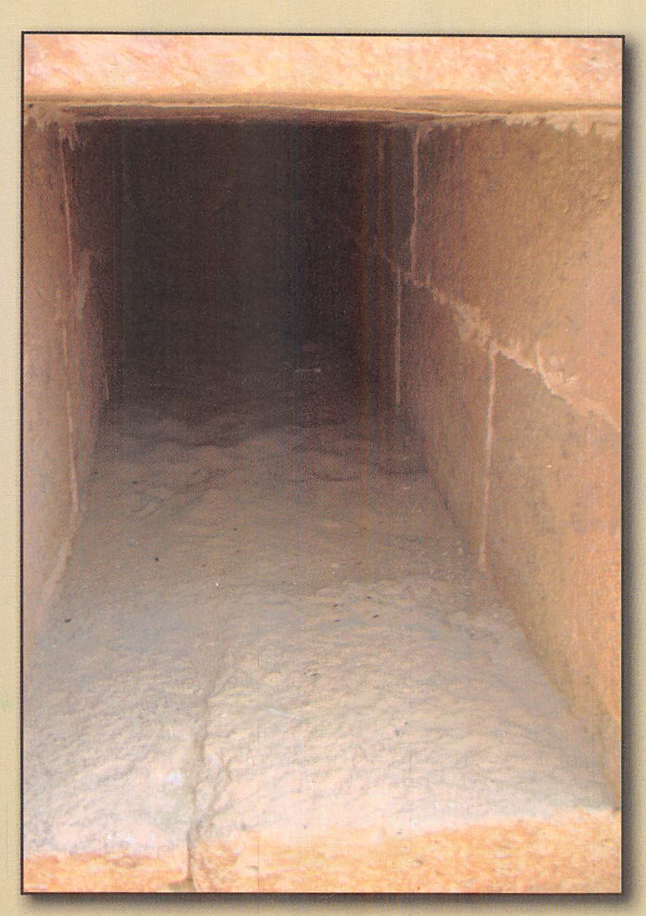
هوَ أبو الأربابِ اليونانيَّةِ وكانَ ربَّ الطقسِ وهطولِ الأمطارِ والعواصفَ. وكانَ أيضًا ربَّ العدالةِ وحمايةِ الغْرباء. وفِى الأسطورةِ كانَ زيوس هوَ والدَ الربَّةِ «أثينا» ربَّةِ الحكمةِ، أخَا «هيديس» ربِّ العالَمِ السفلىِّ، و«بوسيدون» ربِّ البحرِ.



مدخل المعبد

٢ ـ المعبدُ الجنوبيُ :

هذَا المعبدُ مبنىٌّ منَ الحجرِ الجيرىِّ وكُرِّسَ لعبادةِ الربِّ التمساحِ «سوبك»، سُمِىَ «سوخوس» باليونانيَّةِ، وهوَ هنا علَى شكلٍ مزدوج يُطلَقُ عليهمَا اسما «بينيفيروس» و «بيتيسوخوس». وقدْ كانَ هذَا الربُّ مشهورًا ومحبوبًا فى منطقةِ الفيومِ كلِها.



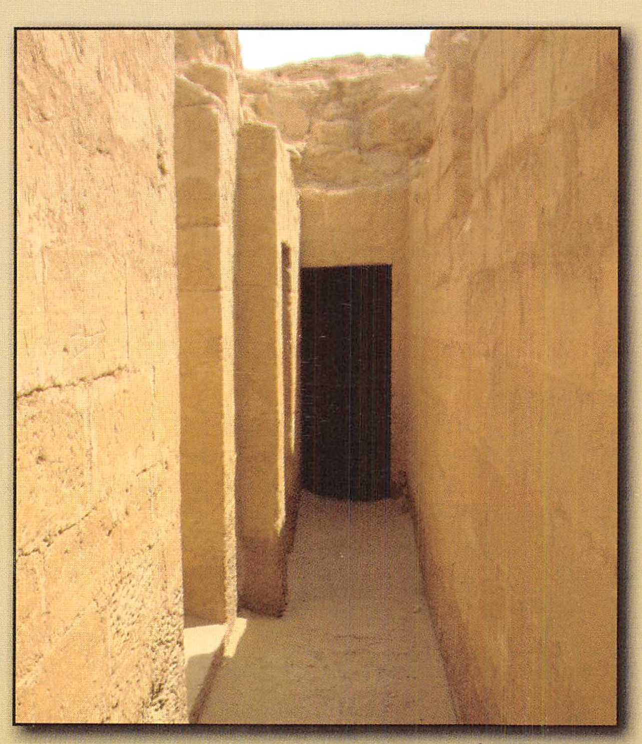
الكوة التى كانت تدخل فيها محفة التمساح المحنط - المعبد المقدس

وهوَ أحسنُ حالاً من المعبدِ الشَّمالى من حيثُ حالة الحفظِ. وتَصِلُ مساحتُه إلَى ٢٢ مترًا × ١٥ مترًا وللمعبدِ دَرَجٌ يصلُ بكَ إلَى مدخلِ المعبدِ الذِى يؤدِّى إلَى فناءٍ صغيرٍ مفتوحٍ، والذى بدورهِ يؤدِّى إلَى فناءٍ مفتوحٍ آخرَ بهِ مقصورةٌ دينيةٌ ذاتُ مذبحٍ (كانَ يُقدَمُ فيه القرابينُ الحيوانيةُ) وبهذَا الفناءِ فتحاتٌ عميقةٌ مستطيلةٌ داخلَ جدرانه لوضعِ المحفاتِ التى تُقلُّ مومياءَ التمساحِ المقدسِ فى هذَا المعبدِ. ويحيطُ بالفناءينَ عددٌ من الدهَاليز الضيقةِ المؤديةِ إلَى غرفٍ صغيرةٍ، رُبَّما يكونُ من هذِه الغرفِ مَا هوَ مكتبةٌ لحفظِ الكتبِ الهامةِ والمواثيقَ المعبديةِ، وغرفَة أخرَى هىَ غرفةُ النبوءةِ (وعادةُ النبوءةِ هىَ عادةٌ انتشرتْ فى الإمبراطورياتِ المقدونيَّةِ واليونانيَّةِ والرومانيَّةِ وهىَ تعتمدُ على أسطورةِ التواصلِ بينَ الأربابِ وزائرِ المعبدِ سواءٌ أكانَ ملكًا أو شخصًا هامًا عن طريقِ الحديثِ معَ بعضِهم البعضِ) ومِن أشهَر معابدِ الوَحى فى العالمِ القديمِ معبدُ «سيوة» بمصرَ

ومعبدُ «ديلفى» باليونانِ القديمة.

ويعتقدُ بعضُ العلماءِ أنَّ هذَا المعبدَ قد شيَّدهُ الإمبراطورُ الشهيرُ «نيرون» وقامَ بترميمه من بعدِه الإمبراطورُ «كومودوس».

دعونى يَا أصدقَائى محبِّى التاريخِ أعرفكم علَى شخصيةِ نيرون المثيرة للجدل.



أحد دهاليز المعبد الجنوبى الضيقة



المعبد المقدس والفناء الثانى والثالث والمذبح العقائدى

الإمبراطور نيرُون (نيرو) :

وِلدَ نيرُون فى ١٥ ديسـمبر من عام ٣٧ م، وقد تبنّاهُ الإمبراطورُ «كلوديس». اعتلَى عرشَ رومَا فى ١٣ أكتوبر من عامَ ٥٤ م وهو شاب فى مقتبل العمر. وقد كانتْ شـخصيةُ هَذا الإمبراطور شـخصيةً غريبةَ الأطوارِ حيثُ إنهُ قتلَ أمّه التى قالتْ فى يومٍ منَ الأيامِ فليقتلْنى، فقط، اجعلوه يحكمُ، وقتلَ أيضًا زوجتينِ من زوجاته.

كانَ متوسطُ الطولِ وشعرُه أشقرُ، وكانَ يتمتعُ بصحة ممتازةٍ؛ إذْ قيلَ عنهُ إنَّه لمْ يمرضْ إلاَّ ثلاثَ مراتٍ خلالَ سِـنى حكمهِ الأَربَع عشرة وقد عُـرف فى التاريخ بأنهُ هوَ الذى حرقَ مدينةَ روما من أجلِ إيجادِ أراضٍ لتوسـيع قصرِه ! ولكنْ نهايتَه كانتْ عجيبةً حيثُ إنَّه انتحرَ بغرسِ سيفِه فـى رقبتِه وطلبَ من صديقِه الإجهازَ عليـه وكانَ هذَا فِى ٤ يونيو من عام ٦٨ م.

ورغـمَ هذِهِ النهايةِ المؤسـفةِ إلا أنَّ هناكَ قصـةً طريفةً تُحكَى عنْ هذَا الإمبراطـور الغريب الأطوارِ، وهىَ أنّه كانَ معَ جيشـهِ فى إحدَى الغزواتِ، وقـدْ كانتْ كميـاتُ الطعام بدأتْ فى النفاذِ فأمرَ بإحضـارِ كمية كبيرةٍ منَ الثلج ووضعَ عليهَا قطعًا منَ الفاكهةِ وأطعمَ بهِ جيشَـه، وكانتْ هَذه الفكرةُ هـىَ أولَ فكـرةٍ للمثلجِ اللذيذِ أو الآيـسِ كريمِ كمَا يُطلـق عليهِ فى اللغةِ الإنجليزيَّة.

وقد شيَّدَ «نيرُون» العديدَ من المنشآتِ المبهرةِ فى رومَا وغيرِها من الأمَاكنِ التابعةِ للإمبراطوريَّةِ الرومانيَّةِ.



لمن يعشق التاريخ والبحث والترحال، دون تكلفة أو عناء سفر.. هذه فرصة ذهبية نضع فيها العالم بين يديك؛ لتمتع نظرك بصور ساحرة عن مدن هى نجـوم وكواكب تدور فى فلك الحضـارات، بما لها من تميُز تاريخى أوجغـرافى أو إنجازات حضارية تملأ النفس بسنابل من المعارف لا تجف.

صدر منها :

1- مدينة الأقصر .. مقر الشمس

2- منف .. مدينة الأوائل

3- تانيس.. مدينة من الماضى

4- كارانيس .. مدينة الأطلال الفريدة



